مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (23) – العدد (01) (جوان، 2022) - ص 73- 88
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد -حياته وآثاره-

Sidi Sheikh Abdul Qadir Bin Muhammed - His Life and its effects-

مجدوب موساوي[1*]، (جامعة سعيدة)، medjdoub70@yahoo.com

تاريخ الاستلام	2020-10-03	تاريخ القبول	2022-01-22

ملخّص

نهدف من خلال مقالنا هذا إلى التعريف بصوفي جزائري؛ وهو عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ وبسيرته الذاتية وبزواياه التي أسسها وأفكاره الصوفية التي كان يؤمن بها حسب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع عنه. ونحن نطمح من خلال محاولتنا هذه أن نرسم صورة صادقة لسيرته ونُجلي حقيقتها ونكشف بعض الغموض في تصورها خدمة للبحث العلمي والثقافة الوطنية.

ومن النتائج التي توصلنا إليها؛ أن عبد القادر بن محمد الذي ظل طيلة حياته متنقلا بين جنوب شرق المغرب الأقصى وجنوب غرب الجزائر خلال القرنين 10 و11 هـ الموافق لـ 16 و17م كان أكثر رجال الصوفية تأثيرا في مجتمعه وعصره؛ نظرا لما قدمه من أعمال وما سجله من مواقف وما ساهم به من منجزات.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر بن محمد؛ سيدي الشيخ؛ التصوف؛ الولي؛ الزاوية

Abstract

Through our article, we aim to introduce an Algerian Sufi, Abdul Qadir Bin Muhammed, who is famous for Sidi Sheikh, his biography, Zawiya he founded, and his Sufi ideas that he believed in according to what we got from sources and references. We aspire, through our attempt, to draw a true picture of his biography, reveal his truth and some of the mysteries in his perception of the scientific research service and national culture. Among the results we reached, Abdul Qadir Bin Muhammed, who throughout his life traveled between the far southeast of Morocco and southwestern Algeria during the 10th and 11th centuries AH corresponding to the 16th and 17th AD, was the most influential Sufi man in his society and era, given his deeds and his record from the positions and the achievements in which he contributed.

Keywords: Abdul Qadir Bin Muhammed; Sidi Sheikh; Sufism; the Wali; Zaouia

* المؤلف المرسل

مقدمة

يعدّ الولي الصالح عبد القادر بن محمد أكثر رجال الصوفية تأثيرًا في مجتمعه وعصره، وأحد الوجوه المميزة جدا بمنطقة بلاد القصور بجنوب غرب الجزائر، وكذا جنوب شرق المغرب الأقصى في المجال الديني خلال القرن العاشر الهجري وبداية القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي وبداية القرن السابع عشر الميلادي، نظرا لما قدمه من أعمال، وما سجله من مواقف، وما ساهم به من منجزات، هذه الشخصية التي حظيت بشهرة كبيرة، لم يحظ بها إلا القليل من معاصريه، فقد أولته الجماهير احترامًا وتقديرًا لم توله إلا لكبار الأولياء والصالحين، فظفر بلقب سيدي الشيخ بامتياز.

بيدَ أنّ الدراسات والأبحاث التي اهتمت بهذه الشخصية قليلة إن لم نقل نادرة؛ لذلك ارتأينا من خلال هذا المقال أن نُعرف به من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات تتشكل منها إشكالية هذا المقال:

- لماذا اشتهر عبد القادر بن محمد باسم سيدي الشيخ؟ وما مدى صحة نسبه البوبكري؟

- هل كان عبد القادر بن محمد وليًّا أميًّا، أم متعلمًا؟ هل كانت صورته تعكس صورة الصوفي الحقيقي؟ وما حقيقة جهاده ضد الإسبان؟

- ما طبيعة الصراع الذي شنَّه عليه خصمه أحمد بن أبي محلي السجلماسي، هل هو صراع عقائدي ديني، أم صراع من أجل الزعامة؟ وما مبلغ تأثير دعاية ابن أبي محلي للحد من نفوذه؟

- ما الدوافع التي كانت من وراء تأسيسه لزواياه؟ وما الجديد الذي أضافه لطريقته الجديدة المعروفة بالشيخية؟ وهل كانت طريقته بريئة خالية من الطقوس البدعية، من جذبٍ ورقصٍ وموسيقى، بمعنى هل كانت طريقته موافقة للشريعة والسنة، أم مخالفة لهما؟

- فيم تمثلت الآثار التي خلفها؟ وما مدى صحة طعن ابن أبي محلي في رصيده العلمي وبصفة خاصة قصيدته المعروفة بالياقوتة. فهل حقا أنه نسبها إلى نفسه حتى ينضم إلى صف الأخيار والأبرار؟

هذه وغيرها من التساؤلات سنحاول معالجتها في هذا المقال، الذي اتبعنا فيه المنهج التاريخي معتمدين في ذلك على التحليل والاستنتاج، انطلاقاً من النصوص التاريخية المستقاة من مصادرها الأصلية. كما اجتهدنا ألا تخرج دراستنا عن إطارها العام المحدد لها سلفًا كونها مرتبطة بسيرة لعبد القادر بن محمد سيدي الشيخ.

أولا: حياته ومسيرته

هذا العنصر الذي سوف نتحدث فيه عن نشأة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد -رحمه اللّه تعالى- من الميلاد إلى الوفاة نوجزه في النقاط الآتية:

1-اسمه ولقبه ونسبه

اسمه الحقيقي عبد القادر. وُيلقب بسيدي الشيخ، وهو اللقب الذي اشتهر به، واحتفظ به خلفه سواء في الجزائر أو المغرب، إذ عُرفوا باسم أولاد سيدي الشيخ.

هذا اللقب اتفق أتباعه ومريدو طريقته المعروفة بالشيخية على أنه جاء بأمر من الوليّ عبد القادر الجيلاني؛ قصد التفريق بينه وبين عبد القادر بن محمد، إلا أننا لا نُرجح هذا القول باعتبار أنّ الشيخ عبد القادر بن محمد لم يُدرك الولي الصالح عبد القادر الجيلاني الذي توفي قبله بقرون.

في حين يرى سي حمزة بوبكر العميد السابق للمعهد الإسلامي وجامع باريس أنّ التسمية جاءت كونه تفوّق وامتاز عن غيره من شيوخ وقته، وقد يكون هذا الرأي أرجح (Boubakeur, 1990: 7)

وإلى جانب هذا اللقب الذي اشتهر به، فإنّ تلامذته وخُدّامه وكُتّاب سيرته أشاروا إليه بألقاب أخرى: كالبوشيخي، والبوبكري، والسماحي، والحميّاني، والعارف، والمرابط، وبوعمامة، والرحال البيضاء...(Trumelet, 1892: 159-160)

وبهذا يكون لعبد القادر بن محمد أكثر من لقب؛ وهذا إنّما يدل على مكانته الاجتماعية والدينية التي حظي بها عند الناس على اختلافهم.

أما عن نسبه، فتوجد صعوبة كبيرة في تحديده بدقة، رغم أنّ جل المراجع اتفقت على أنه بكري، أي ينتسب إلى خليفة الإسلام الأول سيّدنا أبي بكر الصديق- رضي اللّه عنه- هاته الصعوبة جعلتنا في حيرة أمام شجرات نسبه الأربع المختلفة (انظر التعليق رقم:1) فلا ندري الشجرة التي يُمكن أن نُصدقها أو نكذبها؟ ولا نعرف كيف حدثت التغيرات من شجرة إلى أخرى؟ ومن أحدثها؟ وهل هذه التغيرات بريئة؟ فإن كان العكس ما هي الأهداف من ورائها؟

لا نستطيع أن نجزم بإجابة دقيقة، قد تكون رُبما الشجرة الأولى التي كتبها محمد بن معروف الأقرب إلى الصحة؛ لاعتبارين: أنها هي التي قيّدت الأولى زمنيا، كما أنها وردت من دون أخطاء لغوية، لكن يبقى هذا مجرد احتمال، مثل الاحتمال الذي قدمه لنا الشيخ سي حمزة بوبكر الذي يرى في الشجرة التي يُمكن الوثوق بها هي الشجرة الرابعة التي حرّرها العلامة محمد القاسمي. لكن على أي أساس؟ فالشيخ لم يُقدم مبررات احتماله! فهل يمكن لنا الأخذ بها؟

نتساءل أيضا عن نقول الأولين في نسب الشيخ المترجم له، وهو اكتفاؤهم في ذكر نسبه إلى الحمياني نسبة إلى قبيلة حميان العربية في مرات، وفي مرات أخرى إلى السماحي نسبة إلى جده الثاني أبي سماحة، ولم يزيدوا عنها شيئا بدءا من المترجم له إلى من عاصروه من مشايخ زمانه ومُريديه وحفدته الأوائل (ابن أبي محلي، من دون سنة "أ":186، 233، 267؛

بن عابد، 1988: 25، 90-91؛ أبو حفص، 2007: 44؛ أبو راس، 1990: 46). ولا نعرف القصد من وراء هذا النسب؟ فهل هذا يعني أنّ هذا هو نسبه الحقيقي؟

كل هذه التساؤلات المشروعة لا تجعلنا نطمئن إلى نسب عبد القادر بن محمد المذكور في الشجرات المذكورة؛ بل أكثر وأبعد من نقول الأولين والمتأخرين، نجد رأيًا ثالثا مناقضا تماما لما سلف ذكره في هذا الشأن للمؤرخ الجزائري إسماعيل العربي الذي نسبه إلى البربر (إسماعيل، 1983: 222). وعلى الرغم من جزم المؤرخ بعدم صحة نسبه إلى البكريين، فإننا لا نجده يذكر أي دليل يؤكد هذا الجزم.

إضافة إلى ما ذكرناه سابقا، فإننا نجد المترجم له نفسه لا يُصرح إطلاقا بِنسبه البكري مع أنَّ هذا شرف يحرص عليه كل إنسان، وهذا ما نراه واضحا في قوله في البيتين 89-90 من قصيدته المعروفة بالياقوتة وهو يتحدث عن نسّبه:

فَإِنَنِي عَبدُ القَادِرِ بْن مُحمَد سَلِيل أَبِي الرَبيعِ نَجْلِ السَمَاحَة

وَلَا فَخْرَ غَير أَنِي عَبدُ القَادِرِ وَأَحمدُ تَاجُ الرُسُلِ أَقْوَى وَسِيلَة

(عبد القادر بن محمد، 1992: 25)

2- مولده

لم نجد اتفاقا أو إجماعا على تاريخ ومكان ميلاد عبد القادر بن محمد عند الذين اهتموا بالكتابة عن سيرته، فكل ما وجدناه يبقى مجرد احتمالات واردة، قابلة للتصديق أو النفي معا، مما فتح الباب لتأويلات مختلفة بهذا الشأن. ومما زاد الغموض في تحديدهما هو أنّ عبد القادر بن محمد كان بدويا، ولا نعتقد أنه يخفى على أحد الصعوبة التي تكون في تحديد زمن ومكان مولد أهل البداوة، إذ كانت حياة البدوي مرتبطة على الدوام بالترحال والتنقل نتيجة طبيعة عيشه المعتمد بالدرجة الأولى على الرعي، باحثا عن الماء والكلأ، أو حسب الظروف السياسية بحثا عن الأمن (Boubakeur, 1990:8).

لهذا لا يوجد فصل في تاريخ ومكان ميلاده بدقة، إلا أنه يُمْكننا أن نرجح أن تكون سنة ميلاده هي سنة 940هـ-1533م، وقد نكون مُطمئنين لهذا لاعتبار واحد، وهو الزيادة التي ذكرها كل من مريده أحمد بن أبي بكر السكوني في كتابه "المناقب" وصهره أحمد بن بودي في قصيدته الرثائية عنه، والمتمثلة في مدة عيش الشيخ (السكوني، 1991: 9، 15-16، 187)؛ وهي الزيّادة التي تسمح لنا بأن نتيقن من سنة ميلاده باعتبار أنّ سنة الوفاة مُتفق عليها بين الدارسين. وفي هذا الشأن يقول السكوني: «... توفي - رضي اللّه عنه- يوم الجمعة الثاني من الأيام من شهر جمادى الأولى عام خمس وعشرين وألف؛ ودفن يوم الأحد في الرابع من الشهر نفسه وعمره خمس وثمانون سنة...» (السكوني، 1991: 102). وقول أحمد بن بودي:

مَا زالَ مُنْذُ خَمْسَ ثَمانِينَ حجة يُدَاوِي القُلُوبَ قُل بحُسنِ المقَالَةِ

يَقُولُ فَمَنْ أرادَ سَيْرَ الحُــجَّةِ عَلَيهِ بيمِ الثَّانِي شَهْرَ جمَادَة

بِأوَلِ شَهْرَيْنِ بِيَومِ الــعُروبَةِ قِتَالُــهُ فِيهِ ثم مَـوْتُـهُ ثَابِت

(السكوني، 1991: 187)

على هذا الأساس يمكن لنا أن نقول إنّ سنة ميلاد عبد القادر بن محمد هي 940هـــ-1533م والله أعلم.

أما عن مكان ميلاده كما سبق وأن أشرنا هو الآخر يصعب تحديده للأسباب السالفة الذكر، ونعتقد أنه ولد في مكان ما في المناطق المنحصرة ما بين قصري الشلالة الظهرانية وأرباوات، وذلك لكون والده محمد بن ســليمان عاش مرتحلا داخل المناطق الرعوية بين القصــرين. وقد يكون مكان ميلاده أقرب إلى القصــر الأول، كون عائلته اعتادت على التخييم في الحمام بجوار هذا القصــر وحول بُحيرة القليتة، وهو ما احتفظت به لنا الذاكرة الشــعبية لأولاد سيدي الشيخ (Boubakeur, 1990: 9-16)

3- تعليمه

تتلمذ سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد على يدي شيوخ كُثر، قدموا له كل ما لديهم من العلم والأخلاق الفاضــلة والآداب الحســنة، ولعل من أبرزهم والده الذي اعتنى به منذ الصغر في حفظ القرآن الكريم (السكوني، 1991: 56). كما انتفع بجده الإمام العالم سيدي سليمان بن أبي سماحة، وعمه الفقيه سيدي أحمد المجذوب (بن زيان، 2006: 76) وفقهاء من بني عمومته، تعلم منهم مبادئ اللغة العربية والفقه والقرآن الكريم (خليفي، 2006: 16). كما تتلمذ على يد شيوخ وفقهاء بلدته منهم: الشيخ الحاج بن عامر صهر والده شمال أرباوات، إذ تلقى منهم كل التشجيعات(Boubakeur, 1990: 16; Trumelet, 1892:140)

وفي المرحلة الثانية من مســاره العلمي، بعد أن ألّم بمبادئ الفقه والشــريعة، ودرس القرآن، وأتقن حفظه في بداية أمره، شــرع في الانتقال من بلد إلى آخر طالبا للعلم، كانت محطته الأولى قورارة (السكوني، 1991: 25)؛ ورغبة منه إلى الدنو في الكمال والنضج أكثر فأكثر، انتقل إلى محطة ثانية من مســاره إلى فجيج التي كانت حاضــرة ثقافية وفكرية في عهده ومقصدا لطلاب العلم والمعرفة، إذ كان يصحب والده سيدي محمد في زيارته لشيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار.

كما أخذ عن العلامة الشــيّخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الســكوني الود غيري الحسني والعلامة أبي القاسم الفجيجي، ثم انتقل إلى فاس آخذا عن العلامة سيدي عبد القادر الفاسي -رحمه الله- (بن زيان، 2006: 42؛ طواهرية، 2002: 42).

وحين أتم تحصـــيله لعلوم القرآن والشـــريعة والفقه واللغة، ارتحل للأخذ عن العالم الشهير أبي عبد اللّه سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، مكث عنده سبع سنوات وكان أقرب وأخص تلامذته إليه، ســـلك على يديه ولقنه ســـنده في الطريقة الشـــاذلية، وبإذن منه توج مســـاره العلمي بإنشـــائه لزواياه المختلفة التي عملت على التربية والتعليم وتكوين المريدين وفق طريقته الصـوفية الجديدة المسـتوحاة من الشـاذلية، والتي عُرفت بالشـيخية (السـكوني، 1991: 33؛ Boubakeur, 1990:16; Trumelet, 1892:143).

ورغم أنّ عبد القادر بن محمد أفنى كل حياته طالبا للعلم ومحصـــلا له، إلا أنه اتُّهم بالجهل والسفاهة والأميّة من قبل صهره وخصمه أحمد بن ابن أبي محلي؛ كقوله عنه: "...أنه لاَ يَعْرِف الكُوع مِنَ البُوع..." (ابن أبي محلي، بدون سنة "ب": 362).

وقوله عنه أيضا في أحد أبيات قصائده الهجائية التي وصلت إلى حد السب:

وَشَيخٌ شَقِي جَاهِل مُتّجَاهل غَبِي غَوِي مِنْ حفَال الجَفَالت

(انظر التعليق رقم: 2) (ابن أبي محلي، من دون سنة "ب": 425).

لكن في الجهة المقابلة، نجد فقيها آخر وهو يوســـف بن عابد يُشـــيد بعبد القادر بن محمد كقوله: "...فأقمت عنده أيّاما في أطيب حال وأنعم بال، مع طلبة العلم والفقراء، ويُقرأ بين يديه كتاب البخاري بعد صلاة العصر إلى اصفرار الشمس..." (بن عابد، 1988: 93).

كما نجد أنّ عالم الإسـلام ومفتي الجزائر وخطيبها سـعيد بن إبراهيم الشـهير بقدورة، انتقل خصيصا إلى حاضرة فجيج لمناظرته حول الاتهامات التي وُجهت إليه من طرف أحمد بن أبي محلي (بنعلي، 2005: 282) والتي ســـنتعرف عليها لاحقا؛ فهل تتطلب مُناظرة الأميين استدعاء عالم جليل بحجم سعيد قدورة؟

إضـــافة إلى كل هذا، كيف يُراســـل ســـلطان المغرب الأقصـــى الأمير زيدان بن أحمد المنصور الذهبي أميا يستفسره في البيعة والوفاء بالعهد (السكوني، 1991: 64) وكيف أيضا لأمي أن يُبدع ويُبهر في قصـــيدة شـــعرية عُرفت بالياقوتة، نالت اهتماما بالغا بين مريديه وأتباعه وأحفاده، فشـرحوها واسـتنسـخوها وحفظوها، بل حتى الأجانب نالت منهم الإعجاب فوصـــفها الضـــابط العســـكري الفرنســـي تريمولي بأنّها "تُحفة في المنطق والجمالية" (Trumelet, 1892:162).

هاته الدلائل تُوحي بأنّ الرجل المترجم له ما كان أبدا أميّا أو جاهلا مثل ما أريد أنْ يُلصق به، وإنَّما تدل كما قال السكوني: "أنّ له باعا في العلوم الظاهرة والباطنة" (السكوني، 1991: 64).

4- كراماته

يُروى عن عبد القادر بن محمد أنَّ مناقبه وكراماته تعددت وتنوعت، نُسبت إليه قُدرته على القيام بأعمال خارقة مثل حلول الرزايا بمن دَعا عليهم لسـبب شـرعي، وتأويل أصـوات الحيوانات والطيور والنيران، وترويض الأفاعي والوحوش المفترسة، والإخبار عن الغيبيات...

هذه الصـــور لأنواع الكرامات نجد أنّ معظمها وليدة حاجات الناس المختلفة، والكثير منها تحَققها في الواقع مُستحيل؛ لأنّ بعضا منها هو من خصائص الأنبياء والرسّل، والبعض الآخر هي من صـــفات اللّه -عز وجل- التي لا يشـــاركه فيها أحد مهما كانت مرتبته، وكل من ادّعاها لنفسه فهو منازع للّه في سلطانه، وبخاصة ما تعلق منها بعلم الغيب. وتصديق الناس بهذه الكرامات (الخوارق) يعكس بجلاء طبيعة البيئة التي كان يعيش فيها هؤلاء والتي سيطر عليها الجهل والسذاجة التي هي سمة للعصر بأكمله.

5- أوصافه ولباسه وهوايته

أما عن أوصـافه ولباسـه، فقد أشـار السـكوني بأنّه كان جميلا، أبيض البشـرة، أسـود العينين، ملامح وجهه غير مفهومة، صـــوته منســـجم ونافذ، كلمته واضـــحة ونقية ومؤثرة، وجدانه وهيبته نبيلان ومميزان، ذوقه بســـيط. كان يأخذ بين يديه سُـــبحة مُزينة بحبات المرجان، ويرتدي أفخر الثياب ويحمل أغلى الأســـلحة (Trumelet, 1892:150؛ الســـكوني، 1991: 135-136)

وهو الوصـف نفسـه الذي وصـفه به أحمد بن أبي محلي أنّه عند خروجه في موكب كان يسير وكأنه سلطان، فيقول: "تُرفع فوق رأسه مظلة بسراريب من الحرير والرمح على كتفه أو في يده وسلاحه معلق على عاتقه" (ابن أبي محلي، بدون سنة "ب": 372).

وقد أنكر عليه بعض الفقهاء لباســه الملوكي البعيد عن لباس الأولياء والصــلحاء، ورأوا فيه أنّه شيْخ من شيوخ العرب، وليس صوفيا بل بدعي. واهتمام عبد القادر بن محمد بمظهره وهندامه، وســعيه إلى الاغتناء واتســاع الثراء؛ كونه كان أحد أتباع الطريقة الشــاذلية التي لا تنكر التمتع بنعم الحياة.

أما عن هوايته، فقد أفادنا بها السـكوني أيضـا، فيقول كانت هوايته هي الصـيد الذي اتخذه كأسـلوب للترفيه والانبسـاط؛ ولأجله اعتنى بتربية الطيور بنفسـه، خاصـة طائري الباز والصقر؛ بل جعل خداما لطيوره (السكوني، 1991: 122).

6- جهاده ووفاته ووصاياه

المعروف تـاريخيـا أنّ فترة حيـاة ســـيـدي الشـــيخ عبـد القـادر بن محمـد واكبـت فترة الاعتداءات الإسـبانية على سـواحل المغرب الإسـلامي بعامة والجزائر بخاصـة، فكان رحمه اللّه أنْ جاهدهم بالسيف، ومات شهيدا في الجهاد، وقد أظهر في ذلك بسالة كبيرة.

وقد أثبتت لنا الكتابات التاريخية المتداولة هذا، إلا أنّ ما وجب أن نشـــير إليه أنّ هذه الكتابات لم تُصرح لنا بأحداث المعارك والغزوات التي جاهد فيها! ولا حتى تواريخها! بل لمحت أكثر مما صـرحت، واهتمت بذكر فوارق الأحداث على حسـب الأحداث التاريخية المحضـة، وفي ظل عدم وجود ما يُناقض هذه الكتابات يمكن لنا الوثوق بها، ومن خلالها نجد أن عبد القادر بن محمد تعددت أوجه مساهماته في الجهاد ضد الكفار، متمثلة في:

مباشرته القتال بنفسه، ودعوته وحضه على الجهاد، وتقديم الفدية، وافتكاك الأسرى، وإعداد جيّاد الخيل وارتباطها قصد الجهاد. (السكوني، 1991: 76-78، 82-84، 140-141؛ Boubakeur, 1990: 23)

كما يُشير سي حمزة بوبكر بأنّ الشيخ كان له مُخبرون منضمون إلى سريته في أثناء هجماته على مدينة وهران داخلها، وهم من الإسبان المسلمين المتسترين (Boubakeur, 1990:33) .

وقد يكون لأسباب وفاته التي نقلها إلينا السكوني دعم آخر في صحة الكتابات عن جهاده، فقد توفي مُتأثرا بجروح أُصيب بها في معركة ضد الإسبان بناحية وهران. ورجع متحاملا بجروحه تلك إلى منزله، وأوصى ألا يكشف أمره إلى حين وفاته. فلما توفي أخبرت زوجته التي كانت تتولى تمريضه بسبب موته، ثم إنّ الذين تولوا غسله أخبروا بالجروح التي وجدوها بجسده. وفي هذا يقول تلميذه أحمد بن بودي في روضة الأحزان (السكوني، 1991: 189):

قَدْ وَقَعَ القِتَال فِي جُرْحِهِ مَوته أيضًا بِغَيرِ اسْتِحَالَةٍ
فَخَمْس منَ الجِرَاحِ فِي جَسَدِهِ تَظْهَرُ مِن دَنَاسِ دُنيا الدَنَاءَةِ

فَهَذَا الذِي أُنبِئتُ عَنْهُ بمُخْبِرٍ عَن المُتولي غَسْل قُطْب الشَهَادَةِ

ويقول أيضا السكوني: "...وهي خمس جراحات بين قناء وبندقية سيف..." (السكوني، 1991: 101).

فكانت وفاته يوم الجمعة الثاني من الأيام من شهر جمادى الأولى عام خمسة وعشرين وألف (السكوني، 1991: 101-102) بمنطقة حددها العياشي أنها بين قرية الكراكد وإربا (العياشي، 2006: 548)؛ وكان قد ترك جملة من الوصايا منها:

- أن يُعتق عبيده ويُعينون هم وخلفهم كمسيرين لإدارة شؤون زاويته.

- أن يَتبع خلفه ومريدوه الطريقة الشاذلية، بإضافة ذكر خاص يتمثل في تلاوة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من صلوات اليوم.

- أن تكون المشيّخة بعده لابنه الثالث سيدي الحاج أبي حفص لورعه وتقواه (خليفي، 2006: 20؛ Depont et Coppolani, 1897:353-354)

- أن يدفن بالأبيض. وأن يتولى الصلاة عليه تلميذه القاضي الفاضل وصهره محمد عبد اللّه الجراري.

- كما أوصى أولاده بتقوى اللّه وطلب ما عنده، والعزوف عن دار الغرور، وأن يتعاهد بعضهم بعضا بالرعاية والإعانة والمحبة، وأن يكون رضا اللّه تعالى أجل ما يطلبون وأسنى ما يأملون (طواهرية، 2002: 64).

7- زوجاته وخلفه

كان لسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد في حياته الكثير من الزوجات، منهن مسيحية. أهداها إليه أتراك تلمسان تعبيرا منهم له عن الوقار والاحترام الذي يكنونه إليه. اسمها

الياقوت تزوج منها. وهو الزواج الذي نســل منه أحفاده أولاد ابنه الحاج أحمد (Boubakeur, 1990: 18, 24).

الاسـم الذي يبقى في الذاكرة لزوجاته هو عائشـة بنت عبو، وهناك مقام لها بالقصـر الغربي، وهي لم تخلف.

ترك من الأولاد ثمانية عشـر من عدة زوجات، اشـتهر كلهم بالصـلاح، وأنجب من هذا العدد وتكاثر إحدى عشـر منهم حتى صـاروا يُمثلون قبيلة كبيرة بالجزائر وبالمغرب الأقصـى، تُسمى قبيلة أولاد سيدي الشيخ (خليفي، 2006: 19؛ Depont et Coppolani, 1897 : 470-471; Trumelet, 1892: 143; RINN, 1884 :354).

كما أورد لنا الضـابط العسـكري الفرنسـي تري مولي (Trumelet) أنه أنجب من البنات أربعا أو اثنتي عشرة بنتا(Trumelet, 1892: 143) .

وما يجب أن نُشـير إليه هو عدم ذكر أسـماء بنات عبد القادر بن محمد في الوثائق الخاصة بأولاد سيدي الشيخ، ولا نعرف أسباب أو مبررات ذلك؟ باستثناء ابنته رقية طليقة أحمد بن أبي محلي التي ورد اسمها عرضا في ثنايا تصنيفه "المهراس" (ابن أبي محلي، بدون سنة "ج": 226).

ثانيا: خصوم سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد: -أحمد بن أبي محلي نموذجا-

لقد كان لسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد الكثير من الخصوم قبل تعرفه على صهره وخصمه أحمد بن أبي محلي. وهو ما أشار إليه في قصيدته المعروفة بالياقوتة من الأبيات 93 إلى 99 دون تصريح بأسمائهم؛ بقوله:

وَلا تسْمعن قَول عَاد مُـعاند حَسُود لِفضل اللّه بَادِي التَّعنت

وَمَن يتْسبن إِلَينَا غَير مَقولنا تـصبه بِحول اللّه أكبَر عِلـة

وَمَوت عَلى خِلاف دِين مُحمد وَيَبتله الْمَولى بِـفـقـر وَقِلة

وَبَـطش وَشِـدة انتقام وذلة وَيَردعه رَدعا سَرِيع الإِجَابة

بِلَعن الإِلهِ بَاء مَن رَام تْسبنا عِـنادا إلى فِعل تْكير وبِـدعة

كَذلك الذِي يَرْمي كَريم جنابنا وَيَـنسب قدرنا لأَقْبح سِيرَة

فَكَيف وَبِاسم الحقِ تْهج طَريقنا يَـعُود إِلى ضلالِ أهـل الدَنَّاءَة

(عبد القادر بن محمد، 1992: 43)

إلا أننا نجد أحمد بن أبي محلي خصـمه الجريء، يُشـير إليهم بأسـمائهم وهو ما وجدناه في ثنايا تصـانيفه المختلفة، البعض منهم من عائلته كعمه الولي سـيدي أحمد المجذوب، والبعض الآخر خارجها من أهل العلم والولاية أنكروا عليه بعض أفعاله وسـلوكاته (ابن أبي محلي، بدون سنة "أ": 139، 294؛ ابن أبي محلي، بدون سنة "ب": 376).

إلا أنّ ما وجب أن نشـــير إليه هو أن أحمد بن أبي محلي تميّز عن هؤلاء الذين ذكرهم في قوله في الخصومة مع الشيخ بجرأته التي جعلته يُشهر به، ويطعن فيه من خلال كتاباته المختلفة، فقد وصـــفه بأقبح الأوصـــاف والألقاب بألفاظ عنيفة، وبنوع من المبالغة الكبيرة لا تُصدقها بسهولة؛ خاصة وأنّ الشيخ لم يرد عنه من أثر يُدافع به عن نفسه أمام اتهامات ابن أبي محلي له.

كما أننا لا نجد أي تفســـير لعزوف علماء وفقهاء بلدة فجيج التي كانت تزخر بهم أمام اتهامات أحمد بن أبي محلي في الممارسـات السـلوكية غير السـويّة لعبد القادر بن محمد كما حدث، وتتمثل اتهاماته في:

1- محاولة قتله له بتسميمه.

2-ادعاءه بإحياء الموتى.

3-تأخيره لصلاة العصر.

4-خلوه بالمرأة الأجنبية.

كما يتهمه بأكل أموال الناس بالباطل، وجمع الزكاة دون توزيعها على مسـتحقيها، بل يحتفظ بها لنفسه، وبنسبته إلى العكاكزة، والكذب على الجماعة في تقديمه المُسمى يوسف العتروس للناس إماما، وأخذه البيعة منهم له على أنه المولى زيدان بن الســلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي. كما اتهمه أيضا بابتياع أحباس فجيج وبقتل أبناء عبد الجبار (ابن أبي محلي، بدون سـنة "ب": 359-360، 374-375؛ ابن أبي محلي، بدون سـنة "ج": 16، 45-49، 99-109؛ ابن أبي محلي، بدون سنة "أ": 127، 138-142؛ السكوني، 1991: 92).

أما عن مواقف علماء العصـــر من اتهامات أحمد بن أبي محلي لعبد القادر بن محمد، فإننا لم نعثر لا في المصـادر، ولا في المراجع سـوى على موقفين اثنين إزاء اتهامات ابن أبي محلي للشيخ عبد القادر بن محمد: موقف لعالم محايد، عالم الإسلام سعيد بن براهيم قدورة مفتي وخطيب الجزائر الذي لم يصـــل إلى حكم قاطع بخصـــوص الاتهامات الموجهة إلى عبد القادر بن محمد نفيًا أو إثباتًا (BERQUE, 1982: 65)K مما زاد في غموض حقيقة هذا الصراع، خصوصا وأنّ قدورة عُرف بورعه وتقواه، مما يجعل الباب مفتوحا للكثير من التأويلات، ويضع اتهامات ابن أبي محلي في موضع شُبهة وتحقيق، كما لا يجعلنا نُسلم بهذه الاتهامات بسهولة، ولا نطمئن لبراءتها، خصوصا وأنّ الطرف الثاني من الصراع غير موجود، كما أنّ هذه الاتهامات لم تكن محل إجماع، بل وردت من طرف فرد واحد دون غيره.

أما عن الموقف الثاني، فهو لأحمد بن أبي بكر الســكوني الذي اجتهد في الدفاع عن شيخه عبد القادر بن محمد مبررًا له مما أنكر عليه ابن أبي محلي (السكوني، 1991: 92-97).

لا نستطيع أنْ ننفي أو نثبت اتهامات ابن أبي محلي لسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد وليس لنا الإمكانية في الفصـــل؛ كون الوجه الثاني من هذا الجدل مفقود، إلا أننا نلاحظ نوعا من المبالغة يجعلنا نقف عنده وقفة شـك وريْب لنطرح تسـاؤلاتنا المشـروعة، منها: لماذا لم تكن هذه الاتهامات أيام الصـــفاء بينهما؟ وبماذا نفســـر عزوف علماء وفقهاء بلدة فجيج التي

كانت تزخر بهم أمام اتهامات ابن أبي محلي في الممارسات غير السوية لعبد القادر بن محمد كما حدث؟ ولماذا لم يتوصل عالم الإسلام ومفتي مدينة الجزائر سعيد قدورة معاصرهم إلى حكم قاطع بخصوصها؟ كذلك لماذا اعتمد ابن أبي محلي في اتهاماته على ما نقله إليه الناس وبصفة خاصة من مخالطيه الأقربين؟ وما حقيقة فكرة المهدوية عنده؟ ألم تكن لهذا الصراع أبعاد أعمق، خصوصا وأنّ سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد عُرف عنه أنه كانت له قاعدة بشرية عريضة التفت حوله، وأولته احتراماً وتقديراً لم توله إلا لكبار الأولياء والصالحين؟

ثالثا: آثاره

لسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد -رحمه اللّه تعالى- آثار طيبة متعددة ومتنوعة تركها خلفه؛ لتكون شاهدة على جهده وعمله، ومنها إنشاؤه لزوايا الصوفية والتصانيف العلمية، والملاحظ عن زواياه أنها غطت جميع فئات المجتمع من عامة وخاصة وعملت على بث روح التضامن والتكافل الاجتماعيين بين أهالي المنطقة مما انعكس إيجابًا عليها؛ إذ عم الأمن والاستقرار بدل الفوضى والاضطرابات التي كانت سائدة، كما أنها لم تحد عن النمط الثقافي الذي كان مرسوما منذ زمن بعيد، ولم تقدم لطلبتها صغارا كانوا أم كبارا شيئا جديدا غير الذي كان معروفا، وما يقدم في مختلف المراكز الثقافية آنذاك وقبل ذاك، وهو تعليم العلوم الدينية بدءا بحفظ القرآن الكريم وانتهاء بالتصوف.

عرفت زوايا سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد سواء تلك التي أسسها بالأبيض أو فجيج، بأنها كانت لها شهرة وإشعاع وتأثير، واسعة الثراء، إذ خصص لها الشيخ ثماني عشرة ناقة كاملة لتموينها، وأنه كان بحوزته عدة بساتين، إضافة إلى إيرادات الأعطيات والفتوح، مما يدل بصفة قطعية على أن الزاوية الشيخية كان لها على وجه التأكيد دور فعال في تقديم خدمات مختلفة لسكان المنطقة، وإلا ما كانت لتحتاج إلى كل هذا التموين العريض ومصادر العيش الواسعة.(Boubakeur, 1990:22; Trumelet, 1892:149)

إلى جانب زاويتي فجيج والأبيض اللتين كانتا زاهرتين في حياته، كان هو في حد ذاته زاوية متنقلة، فكثرت رحلاته، وانتقل بزاويته من مكان لآخر، ولم ينقطع زواره ومريدوه عن التوافد عليه، أين ما حلت وارتحلت " فَالزَاوْيَة رَاحْلَة وَمْقِيْمَة فِي الَخْيامْ، هَذِهِ هِي اَلطَرِيقَة اِتْبَاعْ سِيدِي الشِيخْ "(خليفي، 2006: 18).

أما عن طريقته المعروفة بالشيخية، فالملاحظ عنها من خلال ما توفر لنا من مصادر ومراجع أنها امتداد للطريقة الشاذلية التي تنتسب إليها أغلب الطرق الصوفية المتواجدة بالمغرب الإسلامي بعامة والجزائر بخاصة. وهي طريقة تربوية روحية سلوكية تتسم بالبساطة والوضوح، نبع منهجها التربوي من خلال آثاره الياقوتة، والحضرة ورسالته في التصوف إلى الأمير زيدان، إذ تناولت الكثير من المسائل التربوية: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة للسلوك والذكر وإتباع الشريعة والصدق...والتي تعتبر كأركان أساسية للتربية الشيخية، يدعو فيها صاحبها أتباعه إلى اتباعها والاقتداء بها.

كما أنها طريقة لم تكن منغلقة على نفسها بل متفتحة، من خلال العلاقات التي ربطتها بطرق صوفية أخرى وجدت في المنطقة، كالقادرية، والكرزازية... اتسمت هذه العلاقات بالود والاحترام والتقدير (حاكمي، 1996: 19-22، 58، 80-90).

كما تميّزت طريقة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد خلال حياته باتساع دائرتها، ويظهر هذا من خلال مقاديمها جلساء الشيخ الذين كانوا ينتمون إلى مختلف الجهات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذيوع صيته بين سكان تلك المناطق وانتشار طريقته بين تلك البقاع.

أما آثاره العلمية، ما تجدر الإشارة إليه أنّ الدراسات والبحوث حولها قليلة جدا ونادرة، فالدارس لها لا يكاد يجد شيئا يشفي الغليل وبخاصة قصيدته "الحضرة" التي لم يهتم بها الدارسون من حيث شكلها ومعناها (باستثناء ما حققه وقدمه عبد اللّه طواهرية) وإنما كان جل اهتمامهم بالمجلس الذي تقرأ فيه والذي سُمي باسمها.

أما عن تصانيفه من شعر ونثر، فالملاحظ عليها أنها قليلة رغم أن الشيخ عُرف عنه سعة علمه ومعرفته، ولا نجد مبررا لعزوفه عن الكتابة سوى كونه قضى طرفا كبيرا من حياته بين -إعطاء السر- وتصدر حلقات الوعظ والذكر، ومجالسة الأصحاب والمريدين والإصلاح بين المتخاصمين؛ كونه كان رجل دعوة وإرشاد، وليس أديبا أو شاعرا، وإلى جانب هذه المشاغل التي ربما قد صرفته عن الاهتمام بالتأليف، نعتقد أيضا أنه لم تكن له رغبة في التأليف، وحتى وإن كانت، فإنها محدودة لم تسفر إلا عن عدد قليل جدا من التصانيف، إلا أنها كانت ذات قيمة علمية كبيرة خصوصًا في التصوف (بنعلي، 2005: 296)، ما يعكس إطلاع الشيخ الواسع ورسوخ قدمه في هذا الشأن. ومن هذه التصانيف التي تركها نجد:

أ- الشعر

متمثل في:

1- الياقوتة

سماها سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بنفسه، وبين غرضه من التسمية؛ إذ يقول في هذا:

وَسَمَّيْتُها اَلْياقوتَ رَفْعًا لِقَدْر ما تَسَلْسَلَ فيها مِن أَشْياخِ عَديدَةٍ

(عبد القادر بن محمد، 1992: 39)

فالتسمية كما هو مبين في البيت جاءت رفعا وتنويها بقدر وجلالة من تسلسل فيها من أشياخ عديدة، وكما أن الياقوت معدن كريم بين المعادن، فكذلك هذه القصيدة بين القصائد. وهي عبارة عن منظومة تائية مطولة مشهورة بالسلسلة في 178 بيت من البحر الطويل، يبرز فيها تجربته الصوفية ومعراجه الروحي (خليفي، 2006: 30)، يذكر فيها مشايخ الطريقة فهي نصح لدين اللّه، ثم رسوله ولعامة المسلمين.

2- الحضرة

هي قصيدة عدد أبياتها أربعة وعشرون بيتا من البحر الطويل، وهي تتمة لقصيدة الياقوتة، وهي من جملة أوراد الطريقة الشيخية ويغلب على أسلوبها طابع الذكر والبساطة في التعبير؛ لتناسب الجميع وإيصال المعرفة إلى العوام (طواهرية، 2008: 178، 184).

يشير فيها عبد القادر بن محمد إلى فضل الذكر وأوقاته والإسناد الصوفي وفضيلة الصلاة على -النبي صلى اللّه عليه وسلم -، وإخلاص التوجه بالقلب للّه تعالى وإفراده بالطاعة والعبودية وطلب رضاه (طواهرية، 2002: 56-57).

ب- النثر

كان لسيدي الشيخ عبد القادر بن محمد تصنيف في النثر متمثل في رسالته الجوابية للأمير زيدان السعدي بن أحمد المنصور الذهبي في التصوف، بدأ فيها بالأصل في أخذ العهد وتحدث عن الذكر، ومراتب الذاكرين ودرجاتهم، وكيفية الأخذ عن شيوخ التربية وطرقها بحسب أحوالهم ومواقع أمورهم، وكيف كان الرسول -عليه الصلاة والسلام-يُربي أصحابه...؛ مدعماً استغراقاته بشبكة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وكأنه يعتبرهما مفاتيح التربية الصوفية الحقة (بنعلي، 2005: 198).

خاتمة

ختاما لما قدمناه من أفكار ومعلومات عن شخصية سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد في مقالنا هذا والتي نخالهُا حقائق لما انتهجناه من طرق أكاديمية في تبيان الصورة الحقيقية للشيخ -رغم بعض الاختلافات في الرؤى- إلا أننا قد رجحنا ما توافق مع منطق البحث المنهجي. وقد تمكنا من الوصول إلى مجموعة من النتائج تمثلت في:

-إن الولي سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد كان قريبا من مشاغل مجتمعه؛ إذ كان يعيش حياة الناس بتدبيره لشؤونهم وبتدخله لحل مشاكلهم، وهذا ما دلت عليه قاعدته الشعبية العريضة التي أحاطت به، وأخلصت له، واعتقدت فيه كثيرا لتقواه وورعه، وهو ما يؤكده تنوع كراماته التي تعني تنوع مهامه وخدماته التي كان يقدمها ويؤديها لأتباعه بخاصة وللناس بعامة، وهو ما يعني أيضا عند المتصوفة بشمولية العطاء الإلهي الذي لا يناله إلا الكبار من الأولياء والأصفياء؛ مما أهله إلى ربط علاقات حسنة وودية مع السلطة السعدية، وهو ما أكده لنا السكوني صاحب كتاب "المناقب" من أنه كانت له مراسلات بينه وبين أحمد المنصور الذهبي، كما كانت له أيضا أخرى بينه وبين الأمير زيدان ابن المنصور، ورسالته الجوابية إليه تشهد على ذلك. وكشفت هذه العلاقات الحسنة مع السعديين عن خصوم له دون أن يَرُد عليهم، مما يُظهر حلمه وصفحه الجميل حتى مع الخصوم. ومن هؤلاء نجد كما ذكرنا سابقا ابن أبي محلي الذي كان جوهر خلافه معه هو الخلاف حول الزعامة والسيادة الدينية بالمنطقة وليس خلافا عقائديا، خصوصا وأنه أصيب بفكرة المهدوية مما جعله يتصرف ربما دون وعي نحو خصمه؛ لإزاحته عن طريق مشروعه السياسي المنشود.

- الغموض الذي يعتري نسب سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد، بسبب الاختلاف بين ما نقله الأولون والمتأخرون في نسبه. إذ نجد أن الأوائل اكتفوا بنسبته إلى جده الثاني (أبي سماحة) فيقال له السماحي، أو ينسبونه إلى قبيلة حميان العربية الهلالية. فيقال له الحمياني، لا يزيدون على النسبتين المذكورتين شيئا. أما الأواخر فقد رفعوا نسبه إلى سيّدنا أبي بكر الصديق-رضي اللّه عنه-خليفة الإسلام وصهر الرسول -عليه الصلاة والسلام-، واختلفوا فيما

بينهم من حذف أسماء من عمود النسّب وإثبات البعض، ومن تقديم وتأخير اختلافا يصعب فيه ترجيح الصواب.

- شَكل خلف سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد من أبناءٍ وأحفادٍ قبيلة كبيرة بالجزائر والمغرب الأقصى، تُسمى قبيلة أولاد سيدي الشيخ.

- ترك سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد آثارا متعددة ومتنوعة، متمثلة في إنشائه لزوايا قامت على قاعدة بشرية عريضة، غطت جميع فئات المجتمع من عامة وخاصة، وكانت لها شهرة وإشعاع وتأثير واسعة الثراء، إلى طريقة صوفية تميّزت خلال حياته باتساع دائرتها، ويظهر هذا من خلال مقاديمها جلسائه الذين كانوا ينتمون إلى مختلف الجهات. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذيوع صيته بين سكان تلك المناطق، وانتشار طريقته بين تلك البقاع. إلى تصانيف علمية في الشعر والنثر؛ وبالرغم من أنها كانت قليلة إلا أنها كانت ذات قيمة علمية كبيرة خصوصا في التصوف، ما يعكس اطلاعه الواسع ورسوخ قدمه في هذا الشأن.

وإذا كان من توصيات نُقدمها في نهاية خاتمة مقالنا هذا فهو الاجتهاد في دراسة وتحقيق التصانيف التي تركها أحمد بن أبي محلي السجلماسي التي ورد في ثناياها الكثير من الأخبار عن عبد القادر بن محمد؛ قصد زيادة الكشف عن شخصيته التي لا زالت كثير من جوانبها غامضة أو غير مفصول فيها.

التعليقات

1- شجرة نسبه الأولى :عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن عيسى بن أبي الحياء بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حافظ بن عسكر بن زايد بن عيسى بن حميان بن عقبة بن عيسى بن ثدي بن شبل بن حسن بن زيد بن اليزيد بن الطفيل بن الزغاوي بن صفوان بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق (أبو شنافة، بدون سنة: 53-54).

شجرة نسبه الثانية: سيدي الشيخ بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن ليلى بن عيسى بن بالحي بن معمر بن سليمان بن سعيد بن عقيل بن حفيظ بن عسكر بن زياد بن عيسى بن حميان بن عيسى بن تادي بن شبل بن حسان بن زيد بن زياد بن الطفيل بن أبي الزعب بن صفوان بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق (بن زيان، 2006: 36).

شجرة نسبه الثالثة: عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن عيسى بن أبي الحياء بن معمر بن مالك بن سليمان بن سعيد بن محمد العقيل بن العقيل الحفيظ بن محمد العسكري بن زيد بن عيسى بن محمد الحمواني بن عيسى بن عبد اللّه الثدي بن محمد الشبلي بن حسين وكنيته الفضل بن غشام بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق (مجهول، بدون سنة: 3-4).

شجرة نسبه الرابعة: عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن عيسى بن أبي الحياء بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة اللّه بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن الثَدي أو الثُدي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن يزيد بن طفيل

المدعو Al Madyuبن أزرو بن زغوان بن صـــفوان بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق (Boubakeur, 1990:9).

2-حفال الجفالت: تعني الحثالة ممن لا خير فيه منهم، الرديء من كل شـــيء (ابن منظور، 1999: 247-248).

قائمة المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية

ابن منظور. (1999). *لسان العرب* (الإصدار 3، المجلد 3). بيروت، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

أبو حفص الحاج عبد الحاكم. (2007). *مفاتح الخيرات ومواهب البركات في الصلاة على سيد السادات*. وهران: منشورات دار الأديب.

أبو راس محمد الجزائري. (1990). *فتح الإله ومنته في التحدث بفضلي ربي ونعمته*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

أبو شنافة محمد. (بدون سنة). *تاج الياقوت وسر الناسوت*. (بنعلي محمد بوزيان، المحرر) وجدة: مطبعة دار النشر الجسور.

أحمد بن عبد الله. (بدون سنة "أ"). منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة. الرباط: المكتبة الوطنية.

أحمد بن عبد الله. (بدون سنة "ب"). السيف البارق مع السهم الراشق. الرباط: المكتبة الوطنية.

أحمد بن عبد الله. (بدون سنة "ج"). مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلة المنخدعة. الرباط: الخزانة العامة.

إسماعيل العربي. (1983). *الصحراء الكبرى وشواطئها*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

السكوني أحمد بن أبي بكر. (1991). *تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة*. وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع.

العياشي عبد الله. (2006). *الرحلة العياشية 1661-1663*. الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع.

بن زيان الحاج سليمان. (2006). *بوداود السماحي والزاوية السماحية*. بجاية: مطبعة تلاتنتيقت.

بن عابد يوسف. (1988). *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت*. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس.

بنعلي محمد بوزيان. (2005 "أ"). *فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع*. وجدة: مطبعة الجسور.

حاكمي أحمد. (1996). *الطريقة الشيخية في ميزان السنة*. وجدة: مطبعة مكاتب القدس.

خليفي عبد القادر. (2006). *الطريقة الشيخية*. وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع.

طواهرية عبد الله. (2002). *تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي المتوفى سنة 946 هـ-1540 م دفين بني ونيف*. غرداية: المطبعة العربية.

طواهرية عبد الله. (2008). *إمتاع القراء بشرحي الياقوتة والحضرة الغراء* (الإصدار الطبعة الثانية). وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع.

مجهول. (بدون سنة). *مخطوط شجرة نسب التحقيق من سيدي عبد القادر بن محمد إلى أبي بكر الصديق*. فجيج: أصل المخطوط ملك خاص لمواطن بفجيج.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

-Boubakeur CHEIKH SI HAMZA. (1990). *,un soufi Algérien sidi cheikh sa vie, son œuvre, son rôle historique, ses descendants(Oulâd sidi - cheikh.* paris: Maisonneuve et la rose.

Depont et Coppolani. (1897). *les confréries religieuses musulmanes.* Alger: Typographie et lithographie Adolphe Jourdan.

Jacque BERQUE. (1982). *Ulémas fondateurs insurgés du Maghreb XVIII.* paris: la bibliothéque arabe sindbad.

Louis RINN. (1884). *Marabouts et Khouans.* Alger: librairie Adolphe Jourdan.

Trumelet.C . (1892). *l'Algérie légendaire.* Alger: librairie Adolphe Jourdan.

عبد القادر بن محمد .(1992) .*الياقوتة*. الشلف: مطبوعات.